التعليل والتدليل في ميزان محاجة الشعراوي للمستشرقين .

Reasoning and pampering in the balance Sharawi's argument for Orientalists

د . زرارقة عبد السلام

معهد اللغات والآداب، المركز الجامعي – غليزان ، الجزائر

zerarka194@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/04 تاريخ القبول: 2019/11/17

- ملخص:

- تقوم المناولة الحجاجية عند الشعراوي في مجابهة دعاوى المستشرقين على الاشتغال بأدوات عقلية بحتة،يمكن اجمالها في خاصيتيْ : التعليل والتدليل،وتأتي مسوغات الاستعمال هذه،كون الفئة المستهدفة، ذات طبيعة خاصة، كونها تركن إلى مرجعيات مناوئة للطرح القرآني العام،حاملة لمنهج التشكيك في قوة الخطابات القرآنية الاقناعية،مع اعتدادها بالمعارف المتنوعة، تؤطرها بطبيعة الحال ضمن منهج علمي صارم .

الكلمات المفاتيح : التعليل – التدليل – الشعراوي – المحاجة – المستشرقون

- Summary :

-The argumental handling of Sharawi in confronting the claims of Orientalists to engage in purely mental tools, which can be summarized in the characteristics of: reasoning and pampering, and these rationale for use, the fact that the target group, of a special nature, being left to the authorities of the anti-Koranic subtraction, carrying the method of questioning the The power of persuasive Qur'anic discourses, with its diversity of knowledge, naturally frames it within a rigorous scientific approach.

Key words : explanation - pampering – poetry - argument - Orientalists.

- تمهيد:

في النظر في الحوار الحاصل بين خطاب **الخواطر** وادّعاءات المستشرقين حول بعض القضايا القرآنية،ذات الوتيرة العالية من الانتباه الحجاجي، ثمّة فواصل ومساحات للتأمل والدراسة،سواء من حيث قوة أدوات الاشتغال المرنة،المنضبطة بالمنهج العام للمحاجة، سيما

اذا عمدنا الى بيان القيمة الحجاجية المُنفذة من قبل **الخواطر**، والاستعمال الأمثل لمقومات الإستراتيجية الاقناعية، والحجاجية والأخلاقية، وكيفية تعلية خطاب الحُجة المعقولة بدَل خطاب التشكيك الذي قدمه المستشرقون المفتقر إلى الأدلة المنضبطة.

وفي صميم فحص الجانب الإجرائي، ذلك، ثمة اشتغال على بيان الاضافة المقدمة في فعل المحاججة،كون التنويع الخطابي المتوافرَ في خطاب **الخواطر** قد أضفى على متعلقات الاستراتيجيات الخطابية مرونة في إعادة توضيب مكوناتها، بحيث تتلاءم مع الأبعاد العامة للخطاب الدّيني ومقاصده، وكيفيات تجليه في فعل المُحاججة، انسجاماً مع السياقات التلفظية العامة، وجوانب التلفظ الفرعية، والجانب التحاوري المُشتغل عليه.وصولا الى بيان زيف وأباطيل المناوئين للمناولة الحجاجية بسمتها القرآنية.

1- الاستراتيجيات التلفظية الحوارية في خطاب الخواطر:

في سبيل التحديد الأمثل لمسوغات استعمال الاستراتيجيات التلفظية الحوارية كونها تأتي في مرتبة المُعضدات للإستراتيجية الحجاجية،بل في صميم اشتغالها،فقد يتراءى لنا كمحدِّد أوّلي، الصبغة الدينية لخطاب الخواطر،كون المتلفظ – الشعراوي صاحب الخواطر- يمتلك سلطة الحجة الدينية على المتلقي،ذلك لأنها مستمدّة من « السلطة الدّينية التي تسوّغ استعمال هذه الإستراتيجية لمن يريد توجيه الناس وتبليغهم بما توجبه الشريعة،وبما تحرمه» 1 ولأنها أيضاً، في منظور الاشتغال الحجاجي،من أقوى المسوغات لاستعمال الأفعال الكلامية التي تتسم بطابع " التوجيهات Les directifs "

فلئن كانت هذه، هي المُحدّد الرئيس، في العملية التلفظية في إطارها العام،فإنّه لا يمنعنا من إبداء ملاحظات حول استعمالات هذه السلطة الخطابية بصبغتها الدينية منها:

أ- اتساقاً مع المقصد العام للحِجاج في كونه أنه « توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معاً،وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية » وعليه ينتظم معه الخطاب الديني الدّعوي في كون أنّ من مقاصده العامة أنه توجيهٌ لمتلقيه.

ب- الاتساق مع قوانين التخاطب بصفتها الاعتدالية، كون خطاب الخواطر ينتمي إلى المدرسة الوسطية.

ج- اعتبار خطاب الخواطر من حيث هويته الدينية، خواطر حول القرآن الكريم وليست تفسيراً له وهو تفريق جوهري،ستكون له تداعياته الخطابية، سيما فيما ستؤول إليه استعمالات الاستراتيجيات التحاورية – ونحن نقدمها كوجهة نظر من زاوية ما وضعنا فيه أنفسنا -

قد لا نتوقف كثيراً لتفكيك مفهوم السلطة،باستعمالاتها الدّينية،إلا في بعض المتعلقات الخطابية التي هيمنت عليها استعمالات السلطة الدينية،وذلك لاستحالة فهم مقتضيات الاستعمال دون فهم عمل السلطة فيه، كون السلطة إحدى عوامل اختيارات المتلفظ للإستراتيجية الخطابية التي يريد تنفيذها،ذلك لأن من مواصفات عمل السّلطة أنّه قد « يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر، عندما يعلو الآخر درجة »2

ولمّا كان الفعل الكلامي المباشر أنسب لمنظومة الخواطر الدّينية،وذلك لطبيعتها الخطابية الموصوفة سابقاً،فانّ دلالة التوجيه في المسائل العقائدية تقتضي الأخذ بالمتلقي إلى مناطق تأويلية مازالت بكراً لديه، سيما إن كان عمل الخواطر يحمل قصدية محدّدة في عرض كيفيات اشتغال أدوات الادّعاء للفريق الآخر،وهو مسعى توجيهي، ذا نظم متعددة،ثم لجوءه ضمن برنامج حجاجي إلى وضع التفنيدات الملائمة لها.

إن ـ الذي نسعى إليه من جهتنا، رصد كافة الإمدادات الخطابية التي منحتها الاستراتيجيات التلفظية التحاورية للإستراتيجية الحجاجية العامة،وعليه يمكن الاشتغال على متعلقين اثنين هما:

أ – مقتضيات الاستعمال.

ب - التعزيزات الخطابية لمقررات العملية الحجاجية.

2- مواصفات الخط الحجاجي العام للخواطر:

لعل صاحب الخواطر الذي هو الشعراوي قد حسم خطّه الاشتغالي في المدخل،بالنسبة إلى تحديد تموقع للخواطر إزاء التيارات الفكرية الخارجة عن الخطاب الإسلامي، وذلك غداة تعليقه عن الآية الكريمة في قوله ﷻ ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [3]

فبعد الإفاضة في تحديد جهات الغواية التي يأتي منها إبليس يحدّد مسارا **للخواطر** « من العجيب أنك إذا نظرت إلى أبواق الإلحاد في كلّ عصر .. نجدها تأتي من الجهات التي يأتي منها الشيطان .. يقولون تقدّمي جهة الأمام.. ورجعي جهة الخلف ويميني جهة اليمين ويساري جهة اليسار.. نقول لهم نحن لسنا في أي جهة من هذه الجهات. لا تقدميين ندعو إلى التّحلل والفجور.. ولا رجعيين نقول هذا ما وجدنا عليه آباءنا. ولا يساريين ننكر الدّين ونناصر الكفر.. ولا يمينيين نؤمن بالرأسمالية واستغلال الإنسان .. ولكننا أمة محمدّية فوقية . كلّ أمورنا من اللّه [4]»

فقد تمنح هذه التهيئة تعاطفاً يتحرر فيها المتلقي من كافة الضوابط،سيما في الانتصار لمذهب أو لرأي دون غيرهما،على أن لا يغيب مع هذا الاشتغال جانبه العقليّ،والذي يمنح ميزة التدبر والتأمل،ورحابة النظر في القضايا التي يطرحها الخطاب القرآني،وعليه فسنكون وفق هذا

المنحى أمام فعالية خطابية تجسدها **الخواطر** تتوفر بالفعل و بالضرورة على مقومات الاشتغال سيما في توجهه الحجاجي.

والّذي زاد لهذا المنحى بعدً توضيحا طريقة التّعبير باستعمال الوسائط الحديثة، بما تمنحه من أبعاد نتيجة تداخل مكوناتها، لأنّ عملها يسير وفق آليات معقدة،إذ وراء كلّ عبارة هناك نيات ومقاصد، وحمولتها لطاقة حجاجية،تسعى للإقناع،فضلاً عن درجة الوضوح والشّفافية التي تكتنزها.

ولعل تحريك دعوى الإقناع في" **الخواطر**" في صورتها الحِجاجيّة باعتبارها الصِنف الّذي يمكن الإمساك به،ميسور عليه،سيما وأن الخطاب القرآني قد حقق فعل الإقناع بواسطة أفعال الكلام الإنجازية، والذي جسدته وضعيات التلفظ المناسبة،ودور الفاعلين فيها،والمقاصد العامة،والتي كان من فعالياتها إقناع الآخر ليس من باب الغلبة ولكن من باب الحوار والتّواصل.

3- دعاوى المستشرقين وطرائق الاشتغال عليها :

لمّا كانت فئة من المستشرقين، ذات توجه غير برئ في النظر إلى بعض المسائل المُدرجة في الخطاب القرآني، فان تفعيل فعل المُحاججة يغدو حاجة دينيّة ومعرفية أيضاً، لتحقيق الكفاية في بسط الحجة، انسجاماً مع مدلولها، في كونها « هي الدليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل به »5 لذا احتيج من خطاب الخواطر الاشتغال بنفس الأدوات المُنفذة لخطاب التشكيك.

ولمّا كانت أيضاً، النزعة التي احتكم إليها المستشرقون عقلية في الغالب، فان من الأدوات المُخوّلة لدى الاشتغال: التعليل والتدليل*

في العمل بالآليتين المذكورتين آنفاً، ثمة نظرة، قد يكون الإمساك بجميع متعلقاتها عسيراً،سيما في كفاية الرّبط بين خط خطاب **الخواطر** العام في نظره إلى القرآن الكريم، والذي يتحرك « في مجالات معرفية محملة بكونية رسالاتها »6 وبين خصوصية خطاب المستشرقين في جانب التشكيك الذي وُسم به،نظراً لطبيعة المغايرة بينهما،ونوعية الأدوات المشتغل بهما.

ولمّا كانت غاية التعليل بسط القضايا وتفسيرها،بناءً على خلفية العلم بالعلل،فإنّ من شروط تحقيق ذلك العلم الشرعيُّ،ووِسْع المدارك لمن يشتغل بها،فضلاً على الكفاية في التأدية الحوارية،إذ مقتضاها أن يؤدي فيها الطرفان وظيفتان مختلفتان،ن هما :

« وظيفة العارض ل.لمخاطِب ووظيفة المعترض للمخاطَب »7

دون أن نغفل ،تحقيق القصدية، من أنّ العلّة مختصة بالدلالة على ما يتوقف عليه وجود الشيء بالوجه الذي وجد به.

أمّا الغاية من التدليل فهي التبرير، والذي من مواصفاته عرض المقدّمات السليمة من العوارض، ليتم وِفقها بناء الاستنتاج، فيحصل بموجبه الإقناع و الاقتناع.

4- أدوات النظر العقلي المنضبطة :

4-1- التعليل:

لمّا كان وجوب التعليل في الحقل الكلامي العقائدي، واجباً دينياً، اقتضته نوعية القضايا الأزلية، التي التقطها الفلاسفة والمستشرقون، وغرابة الطرح القرآني لها، لديهم، بل عدم استساغتهم له،كون عدم حصول القبول لموصوفاتها في العقل، لأنه « من صور الإقتران التي تفرض نفسها على العقل السليم،اقتضاء العلة لمعلولها، بحيث متى أدرك العقل وجود العلة، سلم بوجود المعلول »8

في التقاط الخواطر للسؤال الجوهري في قضية صفة الهداية والضلال لله ﷻ،ثمّة موجهات حجاجيةعديدة، تبتدئها بالسؤال بصيغته الشرطيّة: «إذا كان الله هو الهادي والمضل، فلماذا يعذبني إن ضللت؟»9 وهنا محل للمحاججة السليمة،ذلك لأنّ «الحجاجية مستوطنة في كل وحدة من وحدات المعجم، لأنها جميعاً تختص بإرشادات حجاجية »10

وفي سبيل تنظيم المسار العام للعملية التخاطبية وفق منحاها الحِجاجي، كان الاشتغال يوجب الإنصاف لدى النظر لثنائية الثواب والعقاب اللّذان يُنظمان عمل الانسان في الحياة الدّنيا، والقصد كان باتجاه تثبيت تحقق صفة « **الإسراف على النفس** » لمن أخذ بواحدة منها وترك الأخرى، وعليه ثمّة سؤالين تقدِمهما **الخواطر** يُمكن لهما أن يقوما بذلك،هما:

-« لماذا قصرت الاعتراض على مسألة الضر والعذاب إن ضللت؟ » 11

-« ولماذا لا تذكر الثواب إن أحسنت وآمنت؟ » 12

ولمّا كان الاختيار على النظر الى هذه المسألة من تبعات ما آلت اليه متعلقات النظر، فإن تفنيد حق الاعتراض على مُستحق العذاب لدى المعصية يغدو عملاً مشروعاً ، كون المسألة قد حُسمت في متعلق الاختيار، ذلك لأنّ « اقتصارك على الأولى دون الثانية دليل على أن الهداية التي جاءت لك هي مكسب تركته وأخذت المسألة التي فيها ضرر.ولا يقول ذلك إلا المسرفون على أنفسهم »13

في صميم الاشتغال الحجاجي في الحقل الكلامي العقائدي، ثمّة مُنعطفات عديدة اذا لمْ تضبط محدّداتها، فان صلاحية اجراء التعليل في اختيارات العبد للهداية أو الضلال، قد تكون من جهة الوجاهة الاقناعية غير مكتملة المعالم، لذا كان تأصيل المسألة عملاً تقتضيه ضوابط الإقناع.

لعلّ المنحى الذي أوقفت الخواطر ما قد يؤول إليه أمر حصول الاقتناع لدى المتلقي، هو بضرورة تحرير محلّ النزاع، وذلك كون النقاش الذي دار في مسألة « خلق أفعال العباد » قد هيمنّ عليه سؤال واحد، تقاسمت الإجابة عنه معتقديْن اثنين، فأما السؤال فهو:

« مَنْ خلق هذه الأفعال؟ » 14

وأمّا المعتقديْن فهما: « هل خلقها الله أم أن العبد يخلق أفعاله؟ »15

ولمّا كان من مقتضيات الدخول في نقاش حجاجي، التحديد لماهية المُختلف فيه، فان آلية الاشتغال في خطاب **الخواطر**، قد اختارت ما يسمى **الحجاج بالتعريف** « argumentations par définition» ذلك أنّ منهج الاختيار« أي أننا نختار أن نقدّم الشيء أو نعرّفه بتعريف بعينه،ويشكل الاختيار في حدِّ ذاته حجاجاً »16

حيث كان الاتجاه في البدء إلى تحديد ماهية الفعل، والذي هو « توجيه طاقة لإحداث حدث؛ فطاقة اليد أنها تعمل أيَّ عمل تريده منها؛ قد تضرب بها إنساناً أو تحمل بها إنساناً واقعاً على الأرض، أو تربت بها على اليتيم»17

لدى الفحص لمتعلقات ماهية الفعل، نجد أنّ مكوناته تتعدى أن تكون مجرد فعل منزوع من مقوّمات التأثر والتأثير، بحيث تصاحبه ارادة الفعل اذا ما أريد له أن يكون محلّ تقويم، لأن« الفعل الانجازي الحقيقي إذ « انّه عمل يُنجز بقول ما »18

وعليه فإننا اذا أردنا وضع معادلة عامة لمكوناته، فإنها تكون بالشكل الآتي:

الفعل = طاقة + ارادة (توجيه)

للتمثيل العملي للمعادلة، تنحو الخواطر الى وضع مقارنة للفعل الذي صاحبته ارادة الفعل، وللفعل الحامل للطاقة دون أن ترافقه هذه الارادة.

المعادلة الأولى:

الانسان = طاقة + ارادة الفعل

التمثيل:

«ففي اليد طاقة تصلح لأن تفعل الخير وتفعل الشر، وأنت لحظة أن تضرب إنساناً؛ فأي عضلة تحركها حين ترتفع اليد لتضرب؟. إنك بمجرد رغبتك في أن تضرب؛ تضرب »19

المعادلة الثانية:

الإنسان الآلي= طاقة – إرادة الفعل.

التمثيل: « الإنسان الآلي حين يرفع شيئاً،فله أجزاء وأزرار تعمل. وكلها آلات»20

اذا كان توصيف ماهية الفعل قد أفضى إلى عدم الكفاية للطاقة دون توفرها على إرادة الفعل، فانّ ربط علاقة المشابهة بالتمثيلين تغدو فعلاً منطقياً، كون عمل التفنيد يحصل في هذه الجهة بالذات.

و للعمل على الاستفادة من الخلل الحاصل في الركون إلى إحدى طرفيْ المعادلة لدى تقييم الفعل، فان تداعياته قد تتلاشى إذا كان عملنا موقوفا على التحديد الأمثل لماهية الفعل من الوجهة الشرعيّة، حيث تحسم الخواطر الأمر كله في الاستنتاج التالي:

« إذن فالله هو الذي خلق فيك الانفعال للفعل. فإن نظرت إلى ذلك، فكل فعل من الله، ولكن توجيه الجارحة إلى الفعل هو محلّ التكليف »21

لمّا كان المسار الذي اختطته الخواطر قد غالبته المنازع العقلية، فإنّ غلبة الحجة الموسومة بضوابط العقل قد يكون أمرها بيّناً خلال الاشتغال الحجاجي.

من خلال التراتبية التي وضّبت بها الخواطر طرح السؤال مع كلّ حلقة حجاجية، قاصدة البحث عن العلّة التي أوجبت العذاب على من اختار طريق الضلال بدل الإيمان، وكيف تكون صفة المضلّ مستحقة في أسماء الله سبحانه وتعالى.

غير أنه في سياق تثبيت حقيقة أفعال الإنسان، و تحديد السؤال:ما الذي يحاسب عليه بالذات؟ فانّ تحقيق واجبات صفة العدل، تقتضي أن الجزاء في مواصفاته سيكون منسجماً مع حريّة اختيار العبد للفعل الذي يقوم به.

وفي سبيل ضبط القواعد المُدّعمة للنتائج المُتوصُل إليها،تلجأ الخواطر إلى تقرير حقيقة عامة، وهي أنّه «إذا رأيت فعلاً أو حدثاً مُثبتاً لواحد ومنفياً عنه.. فاعلم أن الجهة منفكة»22

في صورة التعليل في اختيارات الخطاب القرآني اللغويّة، ثمّة نسقاً آخر للتعليل، تكون مادته المفردة القرآنية ودلالات استعمالها في صورة التعليل في اختيارات الخطاب القرآني اللغويّة، ثمّة نسق آخر للتعليل، تكون مادته المفردة القرآنية ودلالات استعمالها،وصدى التشكيك الذي أرفقه المستشرقون بها،ففي سياق التساؤل عن الأحقية التي ينال بها العبد العذاب، إذا كان الله هو الهادي والمُضلُ، فقد أودع المستشرقون سؤالا حول جدوى الاستعمال اللغوي لصيغة المبالغة في صفة «ظلاّم»،لأنّ«الحجاجية مستوطنة في كل وحدة من وحدات المعجم، لأنها جميعاً تختص بإرشادات حجاجية »23

في قوله سبحانه وتعالى « ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلعَبِيدِ»24 ذلك أنّ تداعياتها على مستوى الدلالة في كونها أنها نفت الأعلى من الظلم ولم تنف الأدنى منه «إن آيات القرآن يناقض بعضها بعضاً، ففي آية مثلاً يقول: { لَيْسَ بِظَلَّامٍ } فنفي الأعلى ولا يلزم من نفي الأعلى نفي الأدنى. ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى :إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ »25

في إستراتيجية الخواطر لدى التعليل دعوة إلى إعادة النظر في العلاقة المفترضة وجودها بين الأعلى والأدنى، عبّر عنها السؤال التالي: «هل إذا نفي الأعلى يلزم أن يثبت الأدنى؟ »26، ذلك «لا تكتمل البنية الاستدلالية العميقة المقوّمة « للقياس » إلا إذا ظهر فيها عنصر «القيمة العملية» المرتبطة به والتي توجه سلوك الغير »27

ليكون قطعية الخواطر في تركيب المعادلة بالصورة التالية: « إن نفي الأعلى لا يمنع أن يوجد الأدنى ولكنه لا يلزم بوجوده »28

وعليه يمكن رصد حالات الثبوت /النفيّ في الصياغات المنطقية التالية:

الأعلى ⟺ الأدنى

الأعلى ⟺ الأدنى

2.4. التدليل:

لمّا كانت الحلقة التدليلية، موسومة بفعل المُحاججة بصبغته التخاطبية، فإنها قد تفضي في مستويات معيّنة إلى تحليل التقنيات الخطابية التي عرضت بها الحُجج، وبيان أحقية قوتها التدليلية من حيث المناسبة والقوة والإفادة ، انسجاماً من أنّ التفكير الحجاجي لا تقوم على حقائق ثابتة يمكن التسليم النهائي بها، وإنما « الحجاجات تنهض على كلّ ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم قيمة أو حكم واقع أو موافقة نظرية أو مناسبة قرار»29

في بيان مواصفات التدليل في خطاب الخواطر، ثمّة ممارسة واعيّة، لفعل تفعيل ثنائية الادّعاء والاعتراض بمستويات متنوعة، حيث يمكن إدراج مقولات التشكيك التي ضبط المستشرقون اشكالياتها،صورة حيّة لهذه الممارسة، حيث نقلت أدوات العرض لدى الخواطر مجمل الادّعاءات كما هي،أو أعادت بسط موضوعها، أو تطوير اشكالياتها لتتناسب مع ما تضمره القوة التدليلية التي ستُجابه بها.

لدى الإبانة بالحجج عن بعض التناقض الذي ضن المستشرقون أنه موجود في الخطاب القرآني،سيما في الكونيات،حيث تلجأ الخواطر إلى الطريقة الحوارية،ذلك لأنه « عندما يكون هدف المرسل هو التعبير عماّ يكنه للمرسل إليه الذي يشاركه الخطاب »30

المستشرقون: « إن في القرآن تناقضاً في الكونيات»31

الخواطر: « نقول لهم: مستحيل »32

المستشرقون:« لقد جاء في القرآن:

« قالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ »[الشعراء: 28.]

ويقول: « رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ » [الرحمن: 17.]

ويقول: « فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ »..[.المعارج: 40].

وبين هذه الآيات تناقض ظاهر.»33

الخواطر:« إن التقدم العلمي جعلنا نفهم بعمق معنى هذه الآيات، فكل مكان على الأرض له مشرق وله مغرب، هذه هي النظرة العامة، إذن فقوله تعالى: { رَبُّ ٱلْمَشْرِقِوَٱلْمَغْرِبِ } صحيح، ثم

عرفنا أن الشمس حين تشرق عندي، تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند قوم آخرين، إذن فمع كل مشرق مغرب ومع كل مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان، ثم عرفنا أن الشمس لها مشرق كل يوم ومغرب كل يوم يختلف عن الآخر. وفي كل ثانية هناك شروق وغروب، إذن فالقسم هنا « بِرَبِّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ »؛ لأن المشارق والمغارب مختلفة على مدار السنة»34

المستشرقون: « لماذا تخصون القمر لحساب الزمن وتخصون الشمس لحساب اليوم؟ »35

الخواطر:«إن الشمس مرتبطة بعلامة يومية ظاهرة وهي النهار، واختفاؤها عنك مرتبط بعلامة يومية ظاهرة وهي الليل، ولكن القمر غير مرتبط بعلامة يومية، صحيح أن القمر موجود دائماً، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يدركه أو يراه إلا في أوقات محددة. »36

بعض الناس يقول: إذا كان المقصود بهذه الآية - التي نحن بصدد خواطرنا عنها - هو بيان الأشهر الأربعة الحرم، فما فائدة باقي أشهر السنة؟

الخواطر: «إنك لن تستطيع أن تحدد الأشهر الحرم إلا من خلال بيان وتوضيح أمر السنة ومعرفة عدد أشهرها، وهذا أمر ضروري أيضاً حتى تستطيع أن تحدد الأشهر الأربعة الحرم في العام. وإلا كيف يمكن أن نميز هذه الأشهر وزمنها؟ لا بد لنا إذن من أن نعلم أن هناك عاماً، وأن العام فيه اثنا عشر شهراً لنستطيع أن نحدد الأشهر الحرم. والأشهر الحرم منها ثلاثة متتابعة وشهر فرد... وتحديد الحق لهذه الأشهر الأربعة يعني أنها تتميز بخصوصيات؛ لأن الحق سبحانه وتعالى لو أراد أن تكون هذه الشهور في أي وقت من السنة لتركها لنا لنحددها بمعرفتنا فنختار أي أربعة أشهر على هوانا، لنمتنع فيها عن القتال، ولكن كون الله تبارك وتعالى حددها فذلك لخصوصيات فيها »37

الخواطر: «إنكم حافظتم على العدد ولم تحافظوا على المعدود. ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الأربعة الأشهر المقصودة بالآية الكريمة من الاثني عشر شهراً، لأصبح من حق كل جماعة أن تختار ما تريده من أشهر السنة، ولكنه صلى الله عليه وسلم خصصها؛ لأننا علمنا بذلك كيف نحافظ على الفرق بين العدد والمعدود.»38

في انتقاء الدليل،ثمة تنويع في المصادر، بحيث يختار لكل موقف ادعائي الدليل المناسب، وذلك « لجعل الغائب مشاهدا ولإظهار المجرد في شكل المحسوس ولتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع وللتأثير فيه»39

ففي سياق تفنيد هذا الادعاء المتعلق بالكونيات ، يقدم دليلين: العلمي والعقلي .

5. خاتمة :

في سياق المحاجة العامة التي اشتغل عليها الشعراوي لدى حجاجه للمستشرقين،ثمّة استراتيجيات متبعة لتنفيذ مهام حجاجية، بحيث جنح معهم في البدء ،إلى مدركات العقل من أجل تفنيد الإدّعاءات التي صوّبوها نحو القرآن الكريم في مسائل متعددة، لذا نجد أنّ الشعراوي قد أعلى من آليتي التعليل والتدليل .

في سبيل تحقيق الإستقامة لدى البناء الحجاجي،وترتيب تموضع للقضايا من حيث قوتها الحجاجية،فإنّه من الإنصاف الإنحياز إلى خيار المنطقية ،وهو ما اختارته **الخواطر** لدى تعاطيها مع قضايا من هذا النوع،على إعتبار أنه يمكن الوثوق بنتائج ما تَفضي إليه،ومرد ذلك إلى نوعية الآلة المنطقية المستعملة.

تقترح **الخواطر** في هذا السبيل، الإحتكام لمنطقية عمل الشبهة في حدِّ ذاتها، حيث تقتضي المراعاة أن يكون من الواجب النظر فيها وفق مقتضيات معينة.

والذي يمكن إجماله في هذه المحاججة،من الناحية الانجازية، هو طريقة عرض حججها وفق السياق الذي دارت فيه دعاوى المعترضين .

ولعل انتباه الشعراوي لفاعلية الأدوات المنتجة للحجة العقلية،وتحير المسلك الحجاجي الداعم لها،بحيث نجد تمثلات المنطق البرهاني في بناء المقدمات الصحيحة المؤدية للنتائج السليمة.

وفي صميم الفعالية الحجاجية التي مارسها خطاب الخواطر، نجد أنّ العمل بالخاصتين الآنفتي الذكر قد أعطى وجاهة حجاجية متفردة .

دون أن نغفل الجهاز التشكيكي الذي عمل به المستشرقون والذي لا يمكن كشف خباياه إلا إذا كان المحاجج متمرسا. لأنّ هؤلاء قد مارسوا الانتقائية في استدعاء بعض المسائل التي يظهر لهم فيها شبهات.

1- طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الطبعة الرابعة 2010، الدار البيضاء- المغرب.، ص 70-71

2- طه عبد الرحمن،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الثانية2008، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، ص137

3 - سورة الأعراف الآية: 5

4 - الشعراوي،خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد /1،الجزء/1، المدخل،أخبار اليوم، عالم الثقافة د.ت، ص29

5- الشعراوي،خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد /1،الجزء/1، المدخل،أخبار اليوم، عالم الثقافة د.ت، ص29

* ينظر لمواصفاتهما لدى طه عبد الرحمن في اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مصدر سابق، ص 134

6- أمينة دهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء، الطبعة الأولى2011، المغرب، ص 139-

7- طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة2010، الدار البيضاء- المغرب،ص 70-71

8- يعقوبي محمود، المنطق الفطري في القرآن الكريم،ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر ، ص 95

9- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم،عالم الثقافة، د . ت مصر، المجلد/ 07، ، ص 4470

10 -رشيد الراضي،مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبرو ديكرو،عالم الفكر، العدد 2/المجلد 40 أكتوبر – ديسمبر 2011، ص 210

11- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470

12- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470

13- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470

14- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470

15- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470
16 -Philippe Berton, l'argumentation dans la communication, casbah édition, Alger, janvier 1998 ;p 61
17- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470
18-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ،دار الطليعة للطباعة للنشر والتوزيع،بيروت – لبنان،2005، ص42
19- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470
20- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470
21- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4470
22- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 07، مصدر سابق، ص 4472
23-رشيد الراضي،مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو،عالم الفكر، العدد 2/المجلد 40 أكتوبر – ديسمبر 2011، ص 210
24- سورة : الحجّ الآية: 10
25- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 4750
26- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 4750
27 -طه عبد الرحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مصدر سابق، ص 111
28- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 4751
29- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص،،صفحات للدراسات والنشر سورية – دمشق، الإصدار الأول 2008م ص 69
30-الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الاولى 2004،بيروت لبنان، ص 99
31- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5080
32- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5080
33- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5080
34- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5080 - 5081
35- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5081
36- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5086
37- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5086
38- خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم، المجلد/ 08، مصدر سابق، ص 5087
39-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفارابي- بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ،ص 495